الحواضر والمدن في بلاد المغرب القديم

المحاضرة 01: مدخل

العمران: يشكل العمران "**Urbanisme**" خلاصة فريدة لحضارة الشعوب و هويتها التي تكونت عبر فترات زمنية مختلفة، و العمران لغويا أي في اللغة العربية؛ نقول (عمرالمكان)أي كان مسكوناً بالناس و (عمر الدار) أي بناها ، والعمران هو البنيان أو ما يعمر به البلد بواسطة الصناعة والتجارة والبناء. و يعد ابن خلدون من أوائل العلماء الذين تناولوا مفهوم العمران وهو يري أن العمران هو "التساكن والتنازل في مصر أو حلة، للأنس بالعشيرة واقتضاء الحاجات "، وهو بذلك يجعل العمران هو الحياة الاجتماعية للبشر في جميع ظواهرها ، ويربط بين العمران وأسلوب الحياة وكسب الرزق ، فيجعل ما يجمع الناس في عمران واحد هو تعاونهم في تحصيل معاشهم.فالعمران اذن يمثل الإطار المادي الذي يحتوي جماعة من الناس وهو ناتج وجود الإ نسان أو الجماعة في حيز معين .

علم العمران: هو العلم الذي يهتم بدراسة تجمعات و مراكز الاستيطان البشري.

المسكن : هو المكان الذي يظم الفرد و الاسرة و هو نواة الاستقرار او بمعناه الشامل الذي هو شرط اساسي للعطاء الاساسي ببعده الحسي و الفكري .

العمارة :اصل كلمة العمارة هي عمر (ما هو معناها في القاموس) و هي تشمل كل ماهو على وجه الارض من مباني و منشآت و مساكن سواء كانت من انتاج متخصصون (معماريون او مهندسون) ام غير متخصصون.

العِمارة بكسر العين (في اللغة العربية هي التشييد بالبناء. و هي مشتقّة من عَمَر (بفتح العين و الميم)، أيسكن .والمكان العامر هو المكان الآمل بالسكان. و العمارة نشاط يشمل العديد من الاختصاصات ويوظف العلوم المختلفة من الرياضات والهندسة والفيزياء والفنون وغيرها كما تتقسم الاختصاصات في العمارة فمنها مثلا التصميم الداخلي الذي يعني بالأثاث والتخطيط العمراني الذي يعني بالمدن والمناطق الحضرية. فمنذ أن استقر الإنسان وتحول من حياة البداوة وأحترف الزراعة بدأ بالعمران. و قد اطلق عليها العلامة ابن خلدون"صناعة البناء". يقول **ابن خلدون في هذا المجال:** "هذه الصناعة اول صنائع العمران الحضري و اقدمها و هي معرفة العمل في اتخاذ البيوت و المنازل للكن و المأوى للأبدان في المدن. و ذلك ان الانسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لا بد ان يفكر فيما يدفع عنه الاذى من الحر و البرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف و الحيطان من سائر جهاتها..... "

و في تعريف العمارة المحلية كما يراها حسن فتحي والتي تعبر عن الهوية الثقافية للجماعة ، هي"تعبير حي عن وجدان الإنسان وتحقيق لرغبته الدائمة في الانتماء والخلق والإبداع" ، وهي أيضا" تعبر عن المخزون التراثي الخاص من الموارد والظروف المناخية والخصوصية الثقافية للجماعة ".

فن العمارة: هي فن و علم و تصميم و تخطيط المباني و المنشآت.

المدينة: " Ville " تعني الحضارة واتساع العمران والتمدن أرقى انجاز توصل إليه الإنسان في استقراره على الأرض وهي وليدة الحضارة، وهي مركز الإشعاع الفكري وأسلوب متقدم من أساليب الحياة، والمدينة الإسلامية لا تخرج عن هذا الإطار فهي جميع المظاهر المادية للحضارة الإسلامية التي تعبر عن طبيعة الفكر الإسلامي.

وهذه التعريفات للمدينة المتنوعة كلها تؤدي إلى معنى التجمع والجماعة أي معناه الاستقرار وتبادل الخبرة والمنفعة وكثير ما حددت المدينة بصبغة قضائية، فكان يعلن مدينة في مرسوم

يمنحها حقوقا ويفرض عليها واجبات معينة تميزها عن الريف، كإقامة الأسواق والحصون والسور.

لقد تنوعت نماذج مخططات المدن القديمة من مكان لأخر في العالم عامة والوطن العربي خاصة موطن الحضارات القديمة والتي من شواهدها الرئيسة بعض المدن القائمة الى الوقت الحاضر, حيث أصبح وريثا لبعضها مدن كبيرة واضمحل بعضها , ومن اهم المدن القديمة نذكر على سبيل المثال **مدينة بابل** التي بنيت في القرن السادس ق.م في عهد نبوخذ نصر ووفق مخطط اعدت له، و **مدينة القدس** التي تعود الى ما قبل الميلاد والتي بنيت وفق مخطط يتضمن طرق ومناطق سكنية حسب مستويات السكان للأمراء ورجال الدين وعامة السكان والعبيد.

الفوروم: عرّف **روني كانيا** الفوروم البدائي على أنه آرية واسعة ومفتوحة في المركز حيث كانت ملتقى سكان ضواحي المدينة ، أما من الناحية المعمارية فقد اختلف شكل هذه الساحة (الفوروم) حسب المدينة الموجودة بها، في بادئ الأمر كانت عبارة عن ساحة مربعة أو مستطيلة بها أعمدة لتحديد أبعادها، وبعدها أصبحت تزين بتماثيل وأعمال فنية، وكانت تنسب هذه المساحات إلى أسماء الآليات مثل **Area Mercur ,Area D'apollon** ، ثم تطورت حتى أصبحت مكان تناقش فيه القضايا السياسية والاجتماعية والدينية، و حتى الاجتماعات الخاصة بقضايا وأحوال المدينة. وفي ظل تزايد وتكاثر هذه الاجتماعات والمعاملات التي تتمركز على الساحة العامة اضطر المعماريون إلى فصل الأسواق عن الساحات السياسية التي أحيطت بها المباني ذات الوظائف العمومية واحتفظ كل منيا باسمو السوق "**Macellun** "، و الساحة العامة بالفوروم Forum، و عند الرومان يعتبر الفوروم القلب النابض وهو في الحقيقة مستمد من الأقورا الإغريقية، فكان الشعب الروماني يجتمع في الساحة العامة(الفوروم) لقضاء مصالحه سواء كانت انشغالاته دينية أو سياسية أو تجارية.

- **القرى:** جمع قرية ، تعد القرى الريفية عموما من اقدم مراكز الاستقرار البشري، فقد اضطر الانسان الى الاستقرار عبر حقب طويلة، ضل خلالها متنقلا طلبا للماء و الكلأ، او سعيا وراء الراحة و الامان، وان استقرار الانسان ارتبط اول الامر بالملاجئ و الكهوف و التي اتخذت فيما بعد شكل منازل صغيرة سميت بالقرية.

- **المدن(المدينة):** يرجع أصل كلمة مدينة إلى كلمة دين وهي آرامية عربية ذات أصل سامي، والديان في اللغة الآرامية تعني القاضي، في حين عرفت عند الأكاديين والآشوريين بالدين أي القانون، ومصدرها في الآرامية مدينتا وتعني القضاء؛ وتوافق هذه التفسيرات ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف وما أشارت إليه المعاجم العربية من أن كل المواضيع التي أطلق عليها لفظ مدينة كان عليها حكام وملوك وفيها على وجه التحقيق الصيغة القضائية، والدينية، والإدارية، والسياسية. والمدينة كمصطلح تشير إلى تحديد كيانها المادي والاجتماعي؛ إذ إنّها تعني إقامة تجمعات بشرية داخل أسوار المدن والأمصار والقرى والديار، وفي هذا دلالة حضارية لإقامة السور الذي يعني الأمن والأمان لساكني المدينة ووجود سلطة في المدينة ممثلة في الحاكم أو الملك، وما يميزها من منشآت حضارية ارتبطت بحياة ساكنيها، ولا يختلف التفسير الجغرافي والفقهي بهذا المعنى، وهي تعني المكان الذي يوجد به سلطان يقيم الحدود، وقاض ينفذ الأحكام.